لقد تعمّد السادات، بتشهيره بخصومه العرب «الأقزام والجهلة» والذين لا يفهمون «روح العصر» والذين يريدون «تجويع» الشعب المصري، تعمّد ان يستغل السلفيات الغربية. وبالطبع، كان هناك الكثير في طبيعة الأنظمة العربية مما يسمح للأميركيين ان يرسموا لأنفسهم فوارق بين بطلهم الجديد وخصومه العرب. صحيح انهم [الأميركيون] يدركون انه لا يحكم بلاده بديمقراطية من نمط غربي. لكنهم يعتبرون انه إذا كان دكتاتورا فهناك، على الأقل، ما يغريهم، وهو تلك الضمانة بأنه رؤوف ولطيف نسبيا. اي، مع انه يزج بالكثيرين في السجون فهو لا يقتلهم ولا يعذبهم بشكل جماعي.

مع هذا الاعتبار، يبقى السادات بعد رحيله شهيدا وقديسا في نظر الأميركيين، كما يبقى الوضع الدولي الذي بناه وعكس فيه شخصيته حيث هو، بدعم من الولايات المتحدة. فلا نظامه زال معه ولا كامب ديفيد كذلك. ومع ذلك، ترى الأميركيين يتحسّرون ويعدّون اغتياله كارثة، وفي هذا ما يعني اعترافا ضمنيا بأن نهايته على هذا النحو من العنف صدمة مدمرة تحمل في ذاتها ما يعكس كم كان وضعه هشا وغير طبيعي.

صحيح ان مسحة من الذعر اعترت الأميركيين بعدما فقدوا اشد اصدقائهم ولاءً. لكنهم، مع ذلك، قرروا ان يظهروا ان مبارك هو رجلهم كذلك. وهذا ما افصح عنه مستشار الرئيس ريغان، ادوين ميز، عندما قال: ان الولايات المتحدة ستدافع عن مصر، ليس ضد اي عدوان خارجي فحسب، بل كذلك ضد اي اضطراب داخلي مصدره خارجي.

ومما لا شك فيه ان الأميركيين سيدركون، في حينه، ان السادات ــ مثله مثل الشاه ــ لم يكن صنيعتهم المنشودة كما كانوا يظنون، وان السياسات التي جسّدها لم تكن واقعية بل كانت تحمل فشلها في ذاتها حتى ليمكن القول، مع اعتبار وجهة النظر الأميركية حيال حقائق الشرق الأوسط، ان كل ما سيبقى من امر اغتيال السادات هو الشعور بالشفقة فقط. وما تجدر الاشارة إليه، هنا، ان السادات تصرف في الأشهر الأخيرة من حكمه، بطريقة فاجأت حتى المعجبين به في الغرب وازعجتهم. وبدا واضحا انه فقد بريقه، وهو النجم التلفزيوني.

يومها دعا السادات المراسلين الأجانب الى قريته ميت ابو الكوم والقى فيهم كلاما شبيها بتلك الخطب التي طالما تعودها العرب. كان يتكلم بنبرة عصبية تراوح بين الحقد والتذلل والشتم حتى ليصح القول انه لو بقي حيا لسارع بالأفول بالنسبة الى نظرة الغرب إليه.

وما كان يلفت في السادات انه كان دائما، يلعب دوره بإتقان عندما يكون على علم بأن من يقابلهم يقفون بجانبه بينما يسيء دوره الى اقصى حد عندما يكون امام اناس يعرف انهم ليسوا في جانبه؛ وهذا كان حال الصحافيين الأجانب يوم التقاهم في ميت ابو الكوم. يومها كان يعلم ان من هم امامه ليسوا بجانبه.

بعد ذلك، وبعد موت السادات، جاء تشييعه ليشكل شيئا من صدمة بالنسبة الى